الإلباس للدلالة عليه وكان الحذف أولى من الإثبات لما فيه من الوجازة مع الإعراب
عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ في أداء المعنى كأنه قيل فلما
أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين
بعد الكدح في إحياء النار فإن قلت فإذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم
قلت يكون كلاما مستأنفا كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت
ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله
بنورهم أو يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان فإن قلت قد رجع الضمير في هذا
الوجه إلى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني قلت مرجعه الذي استوقد لأنه في
معنى الجمع وأما جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى
أخرى فإن قلت فما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم قلت
إذا طفئت النار بسبب سماوي ريح أو مطر فقد أطفأها الله وذهب بنور المستوقد
ووجه آخر وهو أن يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله
ثم إما أن تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للإسلام وتلك النار متقاصرة مدة
اشتعالها قليلة البقاء ألا ترى إلى قوله كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله وإما نارا
حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها إلى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث
فأطفأها الله وخيب أمانيهم فإن قلت كيف صح في النار المجازية أن توصف بإضاءة
ما حول المستوقد قلت هو خارج على طريقة المجاز المرشح فأحسن تدبره فإن قلت
هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت قلت ذكر النور أبلغ
لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة
وبقاء ما يسمى نورا والغرض إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا ألا ترى كيف ذكر عقيبه
وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف
أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون فإن قلت

فلم وصفت بالإضاءة قلت هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة
عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح والفرق بين أذهبه وذهب به أن معنى
أذهبه أزاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به إذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان
بماله أخذه فلما ذهبوا به إذا لذهب كل إله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى أخذ
الله نورهم وأمسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو أبلغ من الإذهاب وقرأ اليماني أذهب
الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى إذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فإذا علق
بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى أفعال القلوب كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه
يمنه قوله وتركهم في ظلمات أصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين والظلمة
عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أي ما منعك
وشغلك لأنها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرأ الحسن ظلمات بسكون اللام وقرأ اليماني
في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا
يلتفت إلى إخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كأن الفعل غير متعد أصلا نحو يعمهون
في قوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون فإن قلت فيم شبهت حالهم بحال المستوقد
قلت في أنهم غب الإضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة فإن قلت وأين الإضاءة
في حال المنافق وهل هو أبدا إلا حائر خابط في ظلماء الكفر قلت المراد ما استضاءوا
به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة
ظلمة النفاق التي ترمي بهم إلى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز أن يشبه
بذهاب الله بنورهم اطلاع الله على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من
سمة النفاق والأوجه أن يراد به الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الآية تفسير آخر وهو
أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم
الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها
على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)